المَقَامَةُ الرَّمْضَانِيّة في الرِّحلةِ الحَامِيِّة

للسيد العلامة القاضي حسين بن محمد بن الشيخ بوبكر رحمه الله

تحقيق تلميذه د.زين بن محمد العيدروس

١٤٤١ هـ - ٢٠٢٠ م

المَقَامَةُ الرَّمْضَانِيّة في الرِّحلةِ الحَامِيَّة

للسيد العلامة القاضي حسين بن محمد بن الشيخ بوبكر ـ رحمه الله ـ

(ت ١٤٢٥هـ)

تحقيق

تلميذه د.زين بن محمد العيدروس

عفا الله عنه

الطبعة الأولى

١٤٤١هـ ـــ ٢٠٢٠م

جميع الحقوق محفوظة
لا يجوز طباعتها أو نشرها إلّا بإذن خطي من المحقق

رقم الإيداع بدار الكتب بحضرموت( )
رقم الايداع بدار العيدروس(١١٦)

للتواصل بالواتس ٧٧١٣١١٤٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

الحمد لله الذي جعل شهر رمضان شهر النفحات والبركات، وخصَّ هذه الأمة بأنواع الخيرات، وخصّها بليلة القدر عظيمة الرحمات، فيها تتضاعف الأُجور والمثُوبات، فله الحمدُ أولًا وآخرًا، حمدَ مُعترفٍ بالتقصير، وله الشكر على جميع نعمِهِ الدقيق منها والكبير، وأسأله التوفيق لكل عملٍ مَبْرُور، والصلاة والسلام على سيّدنا محمّدٍ سيّد الأنام، وآله الكرام، وأصحابه الأعلام، ومن تبعهم بإحسان، أما بعد:

فهذه رسالةُ طريفةُ، بأسلوب أدبي مُفيد، عرَضَ المؤلف ـ رحمه الله ـ خلال هذه الرِّحلة فضائل شهر رمضان، وتاريخ الأعصار والأزمان، ممّا اعتاده الناس في شهر الغفران، كلّ ذلك بأسلوب شيّق جذّاب، حتى كأنّ القارئ لها يعيش في الأعصار المذكُورة، ويُشاهد الأحداث الغَابِرة، بل يجُول بفكره، ويَصُول بذهنه في الجِنان!! وينتقل فيها من رَوضة علم إلى روضةٍ غنّاء!!

كَتبَ هذه الرسالة الفريدة شيخنا العلامة القاضي حسين بن محمد بن الشيخ بوبكر ـ رحمه الله تعالى ـ ، حاولتُ قدر الاستطاعة إخراجها كما أرادَها مُؤلفها دُون تعليقات كثيرة إلا ما يلزم ؛ ليستفيد منها الصائِمون خصوصًا، وسائر المحبين للأدب والقصص والفضائل عمومًا .

عملي في تحقيق الكتاب:

١ـ كتبتُ ترجمة للمؤلف مختصرة، وقد ترجمتُ له ترجمة واسعة عند تحقيقي لرسالته فتح المغيث .

٢ـ عزوتُ الآيات القرآنية.

٣ـ قمتُ بتخريج الأحاديث النبوية تخريجاً علميّاً.

٤ـ عرّفتُ بمدينة الحامي، وهي المدينة التي كتبَ المؤلف هذه المقامة فيها، وتحدّث عنها.

٥ـ قمتُ بتشكِيل ما لزِمَ تشكيله.

٦ـ عملتُ بعض العناوين بين معكوفين هكذا [ ].

٧ـ عمِلتُ فهرسًا للموضوعات.

وصف الكتاب:

وجدتُ مخطوطة المقامة الرمضانية في الرِّحلة الحاميّة بخط المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ بمكتبة مدرسة النور ـ رباط النور حالياً ـ الواقع بمدينة المكلا ـ حضرموت. حيث أقام المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ فيه .

وتتميز المخطوطة بوضوح خط مؤلفها، وسهولة قراءتها إلا بعض المواضع غير الواضحة، وتحتوي المخطوطة على ٣٠ ورقة بالقطع المتوسط، من ورق الدفاتر المعروفة، وعليها اسم المؤلف، وقد ذكر أولها تاريخ كتابتها، وهو آخر يوم من شعبان سنة ١٣٩٢هجرية .

ترجمة مختصرة لشيخنا العلامة القاضي حسين محمد مصطفى بن الشيخ أبو بكر :

نسبه:

هو: السيد العلامة القاضي حسين بن محمد بن مصطفى بن حفيظ بن أحمد بن صالح بن عبد الرحمن بن أحمد بن الحسين بن الشيخ بو بكر بن سالم إلى آخر النسب المعروف.

نشأته وتعليمه:

وُلِد في شعب النُّور من ضواحي مدينة الشحر، وتربّى على العلم ومحبّة الخير، من أسرة مشهورة بالصلاح والعلم، وقد اعتنى والد المترجم السيد محمد بن مصطفى بابنه عناية

مباركة؛ إذْ أخذه إلى غيل باوزير لطلب العلم بها، وكانت مركزاً ومهبطاً لطلاب العلم، وبقي فيها خمس سنوات حفظ فيها من العلوم اللغويّة والفقهيّة وغيرها، وطلب العلم بتِبَالهْ: وهي قرية من قُرى الشحر، عند الشيخ العلامة سالم بن مبارك الكِلالي، كما التحق بمدرسة مكارم الأخلاق بالشحر، ودرَسَ فيها أربع سنوات .

من شيوخه:

ومن جملة شيوخه نذكر منهم على سبيل الذكر:

١ـ الشيخ العلامة سالم بن مبارك الكلالي.

٢ـ السيد العلامة علوي بن عبد الرحمن المشهور.

٣ـ الشيخ العلامة عمر بن مبارك بادباه.

٤ـ السيد العلامة أحمد بن محسن الهدار.

أعماله والمناصب التي تقلّدها:

مكانة الإنسان وتمكّنه يؤهلانه لمناصب عالية تحتاج لسياسة حكيمة وعلم غزير، ولهاتين الميزتين ـ السياسة الحكيمة وغزارة العلم ـ تولّى شيخنا ـ رحمه الله ـ أعمالاً مهمّة في الدين والحياة الاجتماعية، ومن ذلك: فقد تولّى القضاء مُدة طويلة في مناطق مختلفة من مناطق ساحل حضرموت في الشحر والمكلا وغيرهما، وتولّى التدريس في علوم الشريعة بشتىّ أنواعها، وكذا علوم الآلة. وتولّى الخطابة في المساجد التي قام بها والتي يعقد بها صلاة الجمعة، ومنها مسجد جامع الشرج.

ومن أشهر تلاميذه :

١ـ شيخنا الفقيه سعيد بن عمر بن عوض باوزير ـ رحمه الله ـ

٢ـ والشيخ سعيد بن عبد الله الرباكي ـ رحمه الله تعالى ـ

٣ـ والشيخ عبد الله بن أحمد بامزاحم ـ رحمه الله ـ

من تآليفه:

١ـ بهجة الإنسان بنظم عجائب القرآن.

٢ـ هداية الله للإنسان إلى مواضيع الكتاب من أم القرآن، وبحمد الله تعالى قمتُ بتحقيقه.

٣ـ منحة الجواز في مسائل الألغاز .

٤ـ المقامة الرمضانية في الرحلة الحامية، وهي هذه الرسالة التي بين يديك .

٥ـ فتح المغيث بشرح أنواع الحديث، وقد حققته، ونشر في مجلة محكّمة.

٦ـ منظومة غاية المرام بنظم صحيح الأخبار في الحلال والحرام.

٧ـ نظم تذكرة المسلسلات من الأحاديث النبوية المرويات.

٨ ـ نظم الجواهر من الحديث المتواتر .

٩ـ نظم مختصر رياض الصالحين ، وغيرها .

وفاته

بعد عمر مديد وحياة سعيدة قضاها هذا السيد الجليل، وبعد خدمة للإسلام والمسلمين لبّى دعوة ربِّه، فقد توفي يوم السبت ١٤٢٥هـ الموافق ٢٠٠٤/٧/٣م عن عمر يزيد على مائة وعشرين سنة، بل قال بعض أحفاده: أن عمره أكثر من ذلك، وله ذريّة كثيرة، نسأل الله تعالى أن يبارك فيهم، وأن يَسلك بهم طريق أبيهم وأسلافهم الصالحين.

نبذة مختصرة عن بلدة الحَامِي :

الحَامِي: وهي المدينة التي كتبَ المؤلف هذه المقامة فيها، وتحدّث عنها، وهي مدينة ساحرة الجمال، وهي تُعدُّ تابعة لمديرية الشحر العريقة، وتبعد عنها بنحو ٣٠ كلم، من

حضرموت اليمن، والحامِي تقع على شاطئ البحر، والممتد إلى المهرة ومن ثم إلى عُمان ، وفيها مزارع، وبها عُيون حارّة كبريتيّة، تزيد عن عشرين عينًا؛ ولهذا أُطلقت عليها الحامي؛ لأن الماء الذي يخرج من هذه العيون حامِية، وهذا الرأي المشهور، ويقصد كثير من الناس الاغتسال من هذه المياه الحامية؛ للتداوي والعلاج ، ويعمل كثير من أهلها في اصطياد البحر، واشتهر منهم رَبابِنة، وجماعة منهم اشتغلوا بالتجارة كسائر الحضارم، ومنهم في دول الخليج وبالأخص دولة الكويت الشقيقة، ولهم فيها أخبار طيّبة وسُمعة حسنة ؛ لحسن أخلاقهم ، وعفّتهم وشهامتهم، واشتهر فيها علماء وصلحاء .

وقد ذكر بلدة الحامي العلامة عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه الماتع النافع إدام القوت في ذكر بُلدان حضرموت[1].

وكتب ذلك تلميذه زين بن محمد العيدروس عفا الله عنه

١٤ رمضان ١٤٤١هـ الموافق ٢٠٢٠/٤/٧م .

صور من المخطوطة :

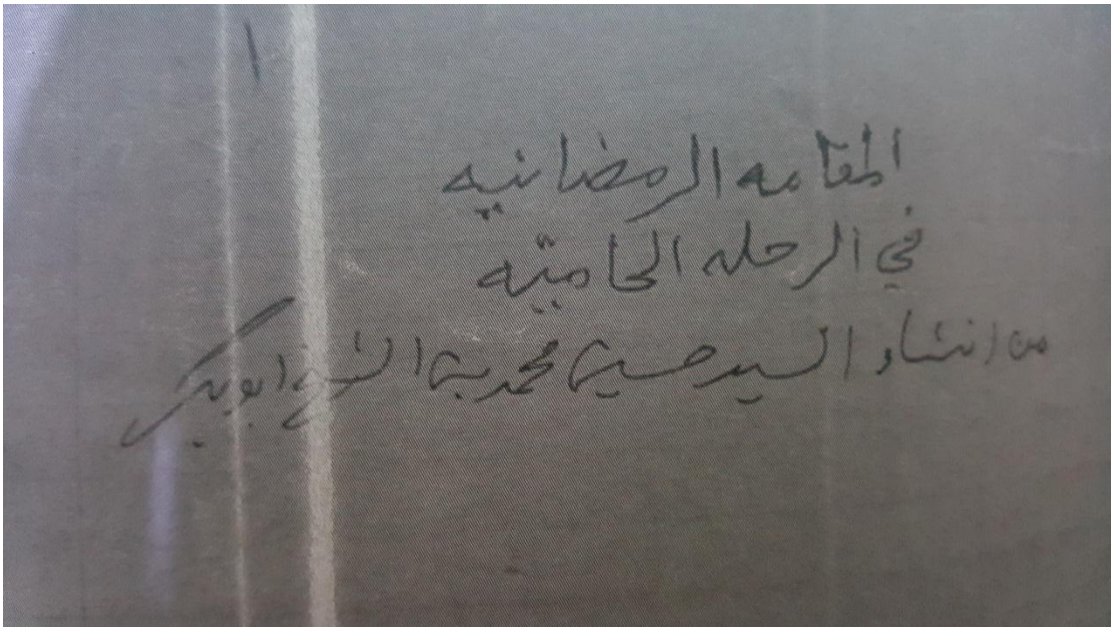

(١) انظر: الكتاب المذكور ص٢٢٢، طبعة دار المنهاج.

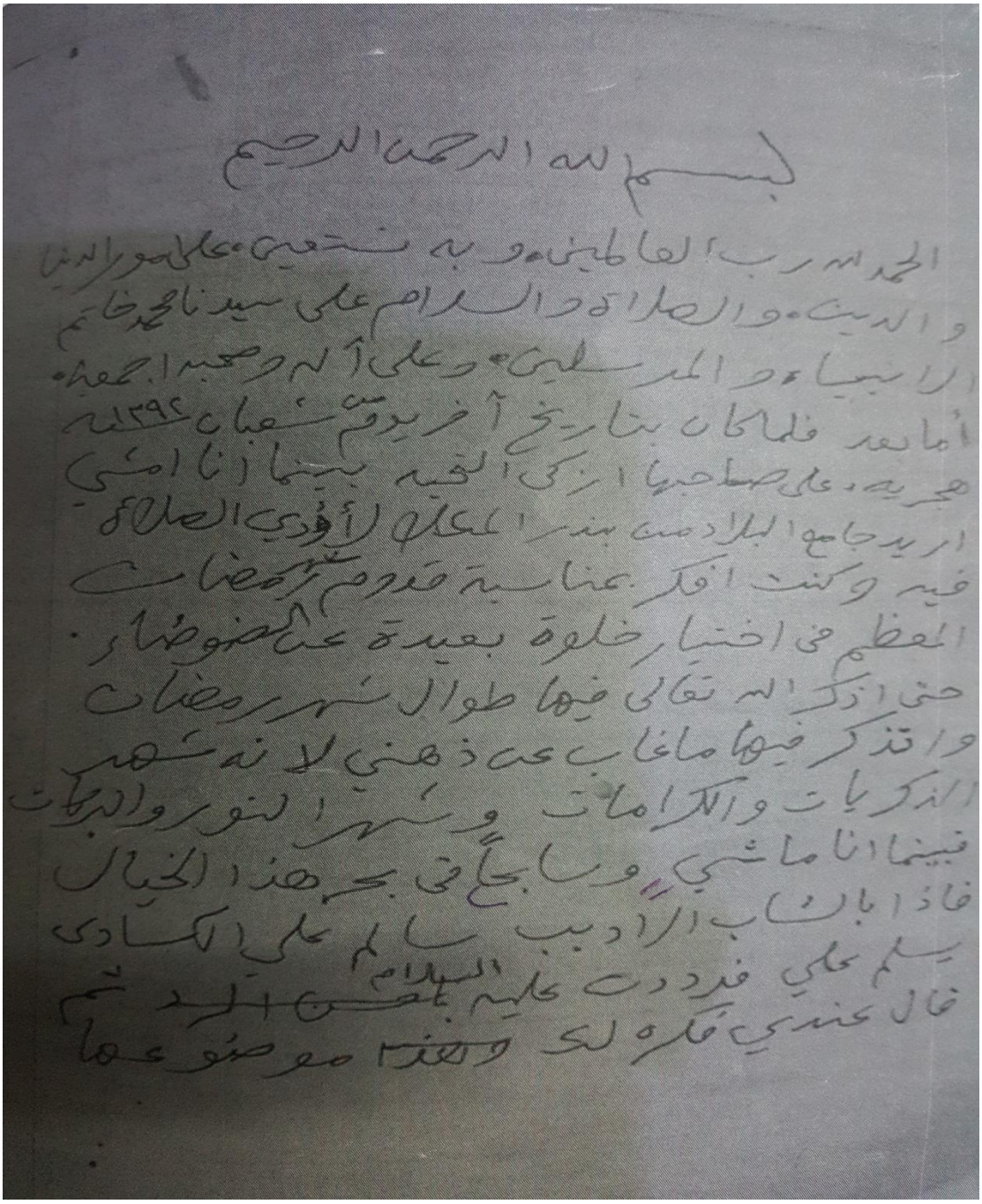

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وبه نستعين على أمور الدنيا والدين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.
أما بعد فلما كان بتاريخ آخر يوم شعبان ١٣٩٢هـ هجرية، على صاحبها أزكى التحية بينما أنا أمشي أريد جامع البلاد من بندر العلان لأؤدي الصلاة فيه وكنت أفكر بمناسبة قدوم شهر رمضان المعظم في اختيار خلوة بعيدة عن الضوضاء. حتى أذكر الله تعالى فيها طوال شهر رمضان وأتذكر فيها ما غاب عن ذهني لأنه شهر الذكريات والكرامات وشهر النور والبركات فبينما أنا ماشي وسابح في بحر هذا الخيال فإذا بباب الأديب سالم على الكسادي يسلم علي فرددت عليه السلام ثم قال عندي فكرة لك وهذا موضوعها

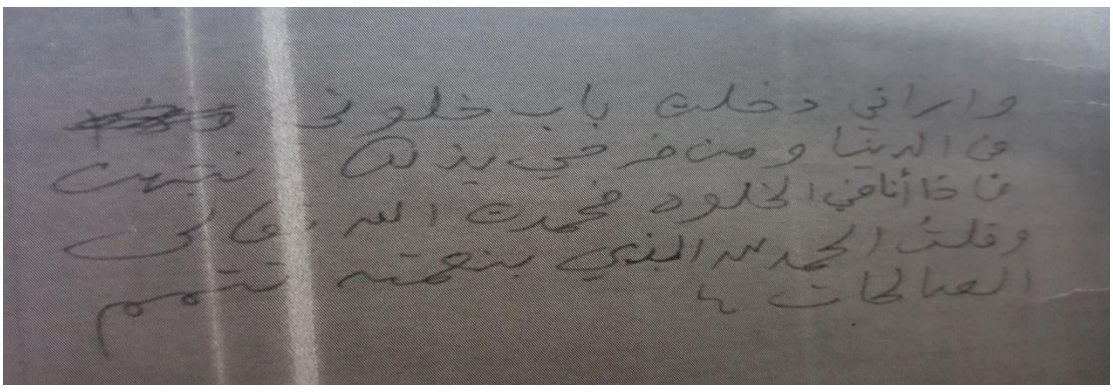

وإذا في دخلت باب خلوتي في الدنيا ومن فرحي بذلك نسيت ما أنا في الخلوة فحمدت الله تعالى وقلت الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

[النص المحقق]

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وبه نستعين على أمور الدنيا والدين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد :

فلمّا كان بتاريخ آخر يوم من شعبان سنة ١٣٩٢هجرية،على صاحبها أزكى التحيّة، بينما أنا أمشي أُريد جامع البلاد من بندر المكلا لأُؤدّي الصلاة فيه، وكنتُ أُفكّر بمناسبة قدوم شهر رمضان المعظّم في اختيار خلْوة بعيدة عن الضوضاء؛ حتى أذكر الله تعالى فيها طوال شهر رمضان، وأتذكّر فيها ما غابَ عن ذهْني؛ لأنّه شهر الذكريات والكرامات، وشهر النور والبركات، فبينما أنا ماشٍ وسابَحٌ في بَحر هذا الخَيَال(١)، فإذا بالشاب الأديب سالم علي الكسادي(٢)، وسلّم عليّ فرددتُ عليه السلام، ثم قال: عندي فكْرَةٌ لك ! موضوعها: هل توافِق على الرحلة إلى الحامي؛ لتقضي شهر رمضان هناك، في خلوة بعيدة عن ضوضاء الناس، وستُحيي الأرض، وأنت فكّر! فقلتُ له: ذلك ما كُنّا نبغي، وهذه الفكرة قد كانت عندي خيَال، ولكنّها الآن تحقّقت، وإلى حيّز الوجود برَزتْ، وفي الحال أمرني بالاتصال بدكان آلـ باصالح، ووجدتُ الرّحلة مُمهّدة، وكلمّا تتطلّبه ناجح، وبالفعل تيّسرت لي الأسباب، فاعتقدت وتيقّنت أن ذلك بدافع من ربّ الأرباب، وبينما أنا أمشي إلى البيت لأُمهّد شؤون السفر، فاعترض لديّ معترض، وعلى هذه الفكرة شوّش وعكّر، وقال في أثناء اعتراضه: ليس من المناسب سفرك الآن عن المُكّلا، وفيها متيسرّة حلاوي رمضان

---

(١) الخَيَال: لكُلِّ شيءٍ تراه كالظِّل، وكذلك خَيَال الإنسان في المِرآة، وخَيَاله في الْمنام صُورة تِمْثاله، وربَّما مرَّ بك الشَّيءُ شِبْهَ الظِّلِّ فهو خَيَال، يُقَالُ: تَخَيَّل لي خَيالُه. انظر: لسان العرب مادة (خيال) ٢٣٠/١١.

(٢) الأديب سالم بن علي الكسادي، من أسرة آل الكسادي اليافعية، وسكن جماعة منهم بالحامي، وبينهم وبين السادة والمشائخ وغيرهم علاقات وطيْدة، وهم من أهل الشجاعة والكرم ، وصفه المؤلف بالأديب ،توفي بالحامي ـ رحمه الله تعالى ـ .

شهر العلوم والعرفان، والمكلا بندر تسمع فيها بالأخبار، وتتصل بالمكاتب العلمية، والكتب المتنوعة، والرسائل الرمضانيّة ! فرأيتُ الجواب منّي له غير مناسب؛ لأني مُصممٌ على عزمي، فقلت له: هات أحد الكتب من هذه المكتبة التي أمامك لأنظر الفأل، وإذا ظهر لي منه ما يناسب الحال، فأنا لامحالة مُسافر مع الخيَال ، وتناول أحد الكتب المذكورة، وفتحه، فإذا فيه أبيات للشيخ سعيد بن عمر بن بلْحَاف[1]، وهي هذه الأبيات بنصّها وفصّها:

نحنُ لكم من قبْل أنْ يلدَ نوحٍ ... وأنتُم لنا مِنْ قبل يُخلق الرُّوح
ونسبةُ آدم عن ترابٍ مطروحٍ ... ونسبةُ الرُّوح العزيز للرُّوح
وفي التُراب أسرارٌ لا تناهى ... لِمَن عرَفها أو لمن وعا الرُّوح
الروحُ هي أرضه وهو سمَاها ... الكلُّ في نصِّ الكتابِ مشروح
غيثُ السما تزرع به البساتين ... وتخرج أفنان النبات في الطِين
مسْكينْ مَنْ لا فهم فيه مسكين ... مِنْ هاهنا صارَ الفؤاد مَجرُوح
مَنْ أجدَبتْ أرضهُ بايش يزْرع ... بالرّيح أم بالشمسِ حِين تطلع

---

(١) هو: سعيد بن عمر بالحَاف، أحد أعلام حضرموت واليمن، اشتهر بالتصوف، وله قصائد رائقة، وعبارات ذائقة، تدلُّ على رسوخِ قدمِه في العلم، وبُلوغ كعبه في الزهد والفهم، تتلّمذ على الفقيه المقدَّم محمد بن علي باعلوي، ونهلَ من معينه، حتى أنه والشيخ عبد الله بن محمد باعبّاد تربيًّا على يديه واختَصَّا به، وكان الفقيه المقدم يُلاطفه ويُناديه يا لُحَيّف، توفي بالشحر، ومن قصائده هذه وقد شرحها جدّنا الإمام عبد الله العيدروس ـ رحمه الله تعالى ـ ت(٨٦٥هـ) ضمن رسالته رسالة بديعة في التصوف، وقد حققتها ـ بحمد الله تعالى ـ، وقد قال الإمام عقيل بن عمر باعمر بعد أن أثنى عليه، ووصفه بالعالم الرّباني في شرح قصيدته التي مطلعها : لما بَدَتْ لي جَلْبَة المُسافر * في بحر باحات الهَوى زواخِر . ناديت يا أهل الوُد هل مُسافِر* هذي سفينة تطلب المفاخِر : الشيخ الناظم رضي الله عنه من خواص عباد الله المقربين، كما شهد له بذلك مشايخنا آل باعلوي فمنهم شيخ شيوخنا: محمد بن علي الفقيه المقدَّم في بعض كلام له، و قد شهد له أيضاً سيدنا وشيخنا عبدالله بن أبي بكر العيدروس –رضي الله عنهما– بقوله في شرح قصيدته التي أولها: نحن لكم من قبل أن يلد نوح، هذا كلام من غلبت عليه الروحانية، وانمحت عنه الصفات البشرية...انظر: فتح الكريم الغافر في شرح حلية المسافر لباعمر٥٦، وعقد اليواقيت الجوهرية للحبشي٢/١١٠٠، وذكره في مصادر الفكر الإسلامي في اليمن٣٣٣.

مــن لــم يُصــبه الغيــثُ كيــف يَصــنع هــلْ يســتوي كــون الجســد بِــلا رُوح

فقلتُ له: هذه الأبيات قد شربتُ منها مشْرب، وذكرتُ بها فصاحة يَعْرُبْ، فأنَا الآن مُتوجّه إلى الحامي المَحميّة، وأنت صُب قهْوتَك الشاذليّة، وستعلمُ بعد حِين نتيجة القضيّة، فركبتُ أحد السيّارات إلى الشحر، ومن حُسن الحظ وجدنا سيّارة الحامي واقفة، فاستوينا عليها، و قلنا: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرِىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾[1]، فصلينا الظهر في المكلا، وصلاه العصر في الحامي، وأوّل ما قابلني فيها الأخ سالم سعيد باصالح، ولم يزل في طلباتي غاديًا ورائح، ثم اتفقنا بمشايخ البلد، وكلٌّ فردٍ منهم عُمدة المعتمد، لا سيّما الشيخ محمد أبو بكر باعبّاد[2] وإخوانه، والمعلّم عوض بن عروه[3]، وبقيّة أئمة المساجد، وبعد أن شربنا القهوة والشاي في بيت آل باصالح ، قام معي الأخ سالم سعيد باصالح[4]، وأسكنني في بيت خاص صالحٌ للذكر، وبعيد عن السوق والضوضاء، وهو في الحقيقة خَلْوة : ﴿لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾[5]، خَلْوة لِمَنْ أراد أن يتعبّد لله بالذكر والفكر، فسكنتُ فيه مرتَاح البَال والضمير، و نسيتُ ما كان يشغلُ فكري ممّا في العِير والنفير، وعلمتُ علم اليقين أن هذا المحل هو الذي كنتُ أتمناه، وطلعتْ على قلبي الأبيات التي مطلعها:

لطـائفُ اللهِ أَقبلتْ * مِنْ كُلّ جَانبٍ والهُمُوم ولّتْ

---

(١) سورة هود: ٤١.

(٢) الشيخ محمد أبو بكر باعبّاد من أسرة المشائخ آل باعباد، وهي أسرة معروفة بالعلم والكرم، والإصلاح بين الناس، وكان إمامًا لمسجد الروضة بالحامي ، وتوفي بها ـ رحمه الله تعالى ـ.

(٣) المُعلّم عوض بن عبد الله بن عِرْوَهْ، ويقصد الناس بالمعلّم القائم على تعليم الناس ، وكان إمامًا ومدرسًا بجامع الحامي، وكان والده أيضًا إمامًا له، توفي بالحامي ـ رحمه الله تعالى ـ.

(٤) الشيخ سالم سعيد باصالح، كان مِفْضالاً يُحب الخير، ويُكرم أهل العلم، وأسرة آل باصالح من الأسر الصالحة، والمحبّة لأهل العلم، ويشتغلون بالتجارة، وكانت للشيخ سالم صِلة بالسادة آل الشيخ بوبكر بشعب النُور الذي ينتمي لهم صاحب هذه الرسالة، وكان يتردد شعب النور، توفي بالحامي ـ رحمه الله تعالى ـ.

(٥) سورة الفرقان: ٦٢.

وأنجم السُعد انْجَلتْ * وبَـان سعْدي بعدمَا تَجلّتْ .

ويشهد الله أنّي كلمّا طلعت هذه الخلوة أراني مع الله، وقلبي مشتغل بالله، وحتى لو نزلَ عليّ ملك الموت، في تلك الحالة لم ينصرف قلبي إليه؛ لاشتغالي بالله !

وقلتُ في نفسي: هذه أول النفحات الرمضانيّة، وسأنتظر في هذه الخلوة من الله الفتوحات الربانيّة، ولم يزل يتّصل بي في هذه الخلوة الشيخ الفاضل محمد أبو بكر باعباد، ثم طلب منّي أن أقوم بإلقاء خطبة الجمعة بجامعهم المسمّى: مسجد الروضة، فرحبّتُ الطلب بكل سُرور، وخطبتُ ولَقِيَتِ الخِطابة الإقبالَ والقبولَ من الجمهور، فلله الحمدُ والمنّةِ على هذا الحال، ولا تسلْ عمّا هنالك من دروس علميّة على هذا المنوال، ولقد رأيتُ ليالي رمضان في هذه البلدة كلّها ليالي سعيدة قدْريّة، والناس مُقبِلُون عليها بشوُقٍ بُكرةً وعشيّة، وقلتُ فيها:

يا بلدة الخير فيك عِزٌ ودين يا بلدةً فيكِ علمُ حقٍّ مَصون

يا بلدة البحر فِيك بحر عظيم في كلّ يومٍ يَخرج رِزق مُعين

وفيــكِ عينٌ تملأ حياتي فتّاً وتُحيي ألوانُه لديّ الفنون

منه تغترف القلوب قَرِيضًا يجذب القلبَ سحْره والعُيون [1].

[أنواع الصوم]

فتحققتُ أن هذه القُوة التي أخذتني هي: قوة الإيمان بالله والأُنس به، ثم بقيتُ في خيالاتٍ حُلوةٍ طِوال شهر رمضان، أطوفُ فيها عبرَ التاريخ القديم والحديث، ودرستُ في هذه الخلوة تاريخ الصوم وفضله وفلسفته وأنواعه الأربعة:

الصوم المفروض وهو: صيام شهر رمضان .

---

(١) بعد هذه الأبيات كلمات غير واضحة .

والصوم المحرّم كصوم العيدين وأيام التشريق، وصوم المرأة في غير رمضان بغير إذن زوجها.
والصوم المسنون كصوم يوم عاشوراء وعرفه.

والصوم المكروه كصوم الدهر.

[شهر رمضان في عصر الخلفاء الراشدين]

ودرستُ أحوال الصالحين وصيامهم في رمضان، وبقيتُ أطوف بخيالي في هذه الخلوة، تاريخ صوم رمضان في عصر الخلفاء الراشدين؛ حيث كانوا يجعلون شهر رمضان موسِمًا كريمًا لعبادة الله تعالى، يتسابقون فيه إلى رحمة الله ورضوانه، بإعلان حربهم الشّعواء على الشيطان؛ حتى يصرعونه بقُوة إيمانهم، ورأيتُ إنارة المساجد في هذا العصر، فقد كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أوّل من فكّر في إنارة المساجد في ليالي رمضان[١]، كما أنه أوّل من جمع الناس لصلاة التراويح فيه، وتصوّرتُ خروجه ومعه ابن عَبد القاري[٢]، ويرى الناس يُصلّون التراويح فيبتسم ويقول: (نعْمتُ البدعةُ)[٣]، ثم انتقلتُ من هذا العصر إلى العصر الأموي، ورأيتُ الفرق الشاسع بينهما، ومن هذا العصر انتقلت إلى العصر العباسي، فكانت دولتهم متمسّكة بالدين، وكان الرشيد ميّالاً إلى الورع والاحتشام، محافظًا على أداء الصلوات في أوقاتها، ويصلي في كل يوم وليلة مائة ركعة، وكانت أُمّه

---

(١) فعن إسماعيل بن زياد قال: مرَّ علي ﷺ على المساجد، وفيها القناديل في شهر رمضان، فقال: (نَوَّرَ اللَّهُ عَلَى عُمَرَ قَبْرَهُ كَمَا نَوَّرَ عَلَيْنَا مَسَاجِدَنَا) أخرجه ابن عبد البر في التمهيد٨/ ١١٩، وابن عساكر في تاريخ دمشق٤٤/٢٨٠.

(٢) يعني المؤلف ـ والله أعلم ـ عبد الله بن مسعود الصحابي الجليل رضي الله عنه ، الذي قال عنه النبي ﷺ : (مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ غَضًّا كَمَا أُنْزِلَ، فَلْيَقْرَأْهُ بِقِرَاءَةِ ابْنِ أُمِّ عَبْدٍ) أخرجه أحمد في سنده ٣٥٩/٧ ، وأبو الحارث في بغية الباحث ٢/ ٩٢١، وقد روى زيد بن وهب قال: كان عبد الله بن مسعود ﷺ يصلي بنا في شهر رمضان ؛ فننصرف بليل. أخرجه الطبراني في معجمه الكبير٩/ ٣١٧، وقال الهيثمي : رواه الطبراني في الكبير، ورجاله رجال الصحيح. مجمع الزوائد٣/ ١٧٢. وانظر: مختصر قيام الليل وقيام رمضان وكتاب الوتر للمَرْوَزِي ٢٢١.

(٣) أخرجه البخاري نحوه في صحيحه ك: صلاة التراويح، باب: فَضْلِ مَنْ قَامَ رَمَضَانَ حديث ٢٠١٠ .

الخيزران مُحبة للخير والاحسان، عمرَتْ كثيرًا من المساجد، وبنتْ دار ابن يوسف في مكّة وهي: التي وُلِد فيها النبي ـ سيدنا ـ محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وكذلك كانت زوجة الرشيد زُبيدة محبّة للخير، انفقت ما يزيد على ثلاثين مليون جنيه، في سبيل البرِّ والاحسان، وبناء المساجد وتعميرها، وحفرَتْ عين مياه الحجاز المعروفة في الأرض الحجازية: بعين زُبيدة، ومن هذا العصر انتقلتُ مع خيالي إلى العصرين الطولوني والفاطمي، ورأيتُ التاريخ يتحدّثُ أمامي: أنه في سنة ٢٥٥ هجرية ، آلت ولاية مصر إلى أحمد بن طولون، ولم تمض سنة واحدة على ولايته حتى أعلن استقلاله عن الخليفة العباسي في بغداد، ولم يقرّ له إلّا بالسُلطة الدينية، وكان هذا العمل مبدأ لدخول مصر في طور جديد، وأصبح لها شأن رفيع، وقد حكمها من الدول الطولونية خمسة ملوك، لم تزد مدتهم على ٣٤سنة، نمَتْ خلالها الثروة، وانبسط رغد العيش خصوصا في أيّام مُؤسسها ابن طولون، فقد كان جوادًا كريمًا، مُحبًا للخير، عطوفًا علي شعبه، ويحنُو عليهم بحذيه، وخاصةً في المواسم الدينية لاسيّما شهر رمضان، ويجمع رجال مملكته وكبار قوّاده، وأمراء جيشه على موائده الحافلة بكل شهيٍّ ولذيذ، وفي أول شهر رمضان من السنة الرابعة من ولايته جمع أعيان القاهرة، وتجارها وكبار رجالها، وكلّ ذي ميْسرة، وبعد أن أكلوا وشربوا، قام خطيبًا فيهم، وقال: إني لم أجمعكم حول هذه الموائد إلّا لأُعْلِمَكم طريق البرِّ بالناس، وأنا أعلمُ أنكم لستُم بحاجةٍ إلى ما أعددتُه لكم من طعام وشراب، ولكن وجدتُكم قد أغفلتم ما أحببتُ أن تفهموه من واجب البرّ عليكم في رمضان، ولذا فإني آمركم من الآن أن تفتحوا بيوتكم، وتمدّوا موائدكم، وتُهيّؤها بأحسن ما ترَغبونه لأنفسكم؛ فيتذوّقها الفقير والمحْرُوم، وإني آمرٌ بتعليق هذا البيان في كل مكان، وأتوعّد كلّ أمير أو حاكم أو قائد لا يُؤدّي واجبه نحو الفقراء والمساكين، ولا يفتح بيته لهم طِوال شهر رمضان، وأعاقبه أشدّ العقاب.

(ومن طريفِ ما حدَثَ في ذلك الزمن) أن ثُراة ـ أي: أغنياء ـ القوم والقادرين منهم كانوا يبعثون بالخدم إلى الأسواق والطرق العامة قُبيل المغرب يبحثون عن الصائمين، يتوسّلون إليهم بكل وسيلة، أن يتناولوا طعام الإفطار على موائد ساداتهم، فإذا اعتذر أحدٌ ارغموه أو هدّدوه، فإن تجرأ ورفض الذهاب معهم، اشبعوه ضربًا، وحملوه قهرًا؛ ليتناول طعام الإفطار على موائد سادتهم بالقُوة.

ومن المآثر التي تُروى عن ابن طولون ـ رحمه الله ـ أنه زار العمّال أثناء تفقُدِه بناءَ مسجده، يشتغلون في رمضان إلى قُرب الغروب، فسأل: ومتى يتمكّن هؤلاء الضعفاء من شراء طعام الإفطار لهم ولأُسرهم؟! ثم أصدر أمرًا حُكوميًا بالترخيص للعمّال عن العمل وقت العصر طِوال أيام شهر رمضان، فصار عادةً تُطبّق حتى الآن، وهكذا خلّد التاريخ لابن طولون ذكرى حسنة جليلة، وسيرة عطرة جميلة، فكان من الحكّام القلائل الذين بكاهم الشعب بعد موتهم بكاء شديدًا، وحزُنَ عليهم حزنًا لا مثيل له.

[ومن التاريخ في العصر الأيوبي]

ومن عصر الطولوني والفاطمي انتقلتُ مع الخيال إلى العصر الأيوبي، وعبرتُ على الحروب الصليبية التي كانت ناشبةً بالقرب من نهر الأردن، وتصوّرت صلاح الدين الأيوبي وهو يستعدُ للحرب، حين علم بما عزم عليه الدُّوق رِيْجَلَنِدْ قائد الجيوش الصليبية من غزو الأراضي الحجازية، وأنه يريد هدم قبر الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، كما يريد هدم الكعبة المكرّمة، وأرسل إليه صلاح الدين سريّةً مِضريّة باغتت قوّاته، وقتلتها عن آخرها إلّاعددًا قليلًا فرّ مع رِيْجَلَنِدْ، وبعد مضي ثلاث سنوات عاد هذا الكافر إلى غزو بلاد العرب، في الطريق اعترض إحدى قوافل المسلمين، وكانت متّجهة إلى قلعة الكَرَك، ووراء نهر الأردن، فنهب متاعها وأسر عددًا من أفرادها، ومنهم أخت صلاح الدين الأيوبي، ولما علِم صلاح الدين بذلك ثارت ثائرته، وحلَفَ أيمانًا مغلّظةً ليقتُلن رِيْجَلَنِدْ، بيده ونشبت الحرب بين صلاح الدين وجيوش الصليبين بالقرب من بُحيرة طبرية في أواخر شهر رمضان،

الموافق لصيف عام ١١٨٧م ميلادية، وأختار صلاح الدين لجيوشه الأماكن المسيطرة على طرق التموين والمواصلات، والمُشرِفة على آبار الماء، وأمر جُنده بالإفطار في شهر رمضان، وعدم الصيام فيه؛ حتى يتمكّنوا من مقاومة العدو، ودخل الصليبيون المعركة يلْهَثُون من الظمأ بعد أن اخترقوا السهوُل في حرِّ الصيف المُحرق، وانتهز صلاح الدين الفُرصة، فأمر جنوده بإشعال النار في الأعشاب البريّة، وحملَ الريح الدُخان، فزاد متاعب الصليبيين، وفي هذا ظلوا يُقاتلون قتال اليائسين، وخرجوا منهوكي القُوى، ووقعوا في الأسر، ووقع معهم قائدهم رِيْجَلَنِدْ ، وفي صباح يوم عيد الفطر أمر صلاح الدين بأن يُؤتى بالملك جاي والدُّوق رِيْجَلَنِدْ، فلما أقبلا عليه قدّم صلاح الدين بيده الماء والطعام إلى الملك جاي؛ دليلاً على أنه قد عفا عنه، أما الدُّوق رِيْجَلَنِدْ فقد خيّره بين الموت أو الإيمان برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فلّما رفض ذبَحه صلاح الدين بيده، وأقسم الملك جاي والنُبلاء الذين أطلق سراحهم أن لا يحملوا السلاح مرّة أخرى على المسلمين.

[وفي عصر المماليك الذي أنشئ بيد صلاح الدين]

ومن عصر الأيوبي انتقلتُ مع الخيّال إلى عصر المماليك الذي انشئ بيد صلاح الدين ، وبالرغم من أنهم عُصْبَة ابتِيعوا بيع السِّلعِ، ونشؤا أرقاء ولكن نجدهم في قصة حياتهم مالوا إلى التقوى والورع، وحب الخير والصلاح، وبلغت عنايتهم بشهر رمضان، والاحتفال بلياليه أكثر ممّا كانت تفعله الدولة الفاطمية، ويُؤثر عنهم أنهم أوّل من فكّر في قراءه صحيح البخاري من أول رمضان في الجامع الأزهر، حتى يُختم في ليلة العيد، وذلك في احتفال مهيب ليلة ختمه، يحضره الجمّ الغفير من الوجهاء والكبراء والشخصيات البارزة، ثم تُوزّع الهبات على العلماء والفقهاء والطلبة، والأيتام والأرامل والمساكين والمرضى والمهاجرين.

[طرفة بعنوان : سِيبْ دِيْ واشرب دِيْ]

ومن النوادر والطرائف أن أحد المماليك واسمه افتخار، كان مواظبًا على حضور الدروس الدينية التي تُلقى في الجامع الأزهر خلال شهر رمضان، فاستمع ذات يوم إلى تفسير حديث شريف، قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم : (مَنْ سَقى صَائماً سَقَاهُ اللَّهُ مِنْ حَوْضِي شَرْبَةً لَا يَظْمَأُ حَتَّى يَدْخُلَ الْجَنَّةَ) [1]، فتأثّر افتخار بهذا الحديث، وأقسَمَ في نفسه على أن يقوم بعمل طيّب يُكفّر عنه سيئات الماضي، و يجعله من المقبولين عند الله تعالى، فصمّمَ على أن يسقي في كل يومٍ من أيام رمضان عددًا كثيرًا من الصائمين؛ ليكون من بين الفائزين بدخول الجنة، فلمّا عاد إلى داره أمرَ بشراء عددٍ كبيرٍ من القُلل التي يوضع فيها الماء للشرب، وتولّى بنفسه الإشراف على حملها بالمياه العذبة المُزهّرة، وأخذ في تنظيم صفّها أمام قصره وقت الغروب، ولكنَّ الكثير من جيرانه أخذوا يقلدونه، وعزَّ عليه أن يجدَ له منافس في دخول الجنة! فهداه تفكيره إلى حيلةٍ جديدةٍ للتغلّب على كيدِ جيرانه، وهي: إذابة السُكّر في الماء قبل تقديمه للشرب، فنجحتْ فكرته، واشتدَّ إقبال الناس على قُللهِ،

---

(١) أخرجه بهذا اللفظ : (مَنْ سَقى صَائماً..) التيمي الأصبهاني الترغيب والترهيب ٢/ ٣٤٩، من طريق علي بن جدعان، والحديث بنحوه أخرجه أيضا ابن خزيمة في صحيحه ١٩١/٣، والبيهقي في شعب الإيمان ٣٥٠/٣ لكن بلفظ : (وَمَنْ أَشْبَعَ فِيهِ صَائِمًا، سَقَاهُ اللَّهُ مِنْ حَوْضِي...) وغيرهم، وهذا حديث طويل عظيم، اشتمل على فضائل شهر رمضان، وهو حديث مشهور عند المحدثين بحديث سلمان الفارسي رضي الله عنه راوي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم، وللحديث طريقان الأول طريق إياس بن عبد الغفار عن علي بن جدعان، والثاني: طريق يوسف بن زياد عن همام بن يحيى عن علي بن جدعان، ويوسف بن زياد منكر الحديث كما في الكامل ١٧٠/٧، والمجروحين ١٣٣/٣، وأما إياس بن عبد الغفار فهو مجهول وقد ذكر الحافظ ابن حجر عن العقيلي أن إياس بن أبي إياس هو الراوي عن ابن المسيب الحديث المذكور وذكر أنه مجهول، ثم قال: وفي ثقات ابن حبان إياس بن خارجة عن سعيد بن المسيب وعنه يزيد بن أبي حبيب فينظر إن كان هو هذا. لسان الميزان ٢٣٢/٢، والذي ذكره البخاري في التاريخ الكبير ٤٧٣/١، والجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٢٧٨/٢ هو ما ذكره ابن حبان، وإياس ابن خارجة لم يذكر بجرح ولا تعديل ، وأما علي بن جدعان فمختلف فيه، وقد وثقه يعقوب بن شيبة والترمذي، وضعفه جماعة. انظر: تهذيب الكمال٤٣٤/٢٠، الكاشف ٤٠/٢.

وكان يخطئ أحد المارةِ من الصائمين، فيمسك بإحدى القُلل الأخرى، فيهجمُ عليه افتخار صائحًا: سِيبْ دِيْ واشربْ من دِيْ.

[العصر الحديث]

ومن عصر المماليك انتقلتُ مع الخيَال إلى العصر العثماني، ومنه إلى العصر الحديث، وكل هذه الدروس اعطتني معلومات عن أُممٍ مضتْ، وأخذتُ أعمارهم إلى عُمري، وكأني عاصرتُهم، وعرفتُ عاداتَهم وتقاليدَهم، وعلمتُ مواضيع دُروسهم وخطبهم ومواعظهم، وذكرياتهم في تلك الأيام الغابرة، فشكرتُ الله تعالى على هذه المعلومات، وقلتُ من صَمِيمِ قلبي : الحمد لله الذي بنعمتِه تتم الصالحات.

[ومن التاريخ والتقاليد القديمة]

ومن تلك التقاليد أن الذي يفطر في رمضان بغير عذر يراه المجتمع في ذلك العصر مُجرم كبير، يعاقب بأشدِّ العقاب، حتى أن أطفالهم يتباهون ويُظهرون أنهم صائمون، والويل كلّ الويل لمن ظهر أمامهم أنه فاطر، ولو كان معذورًا ، فيتابعونه ويرتجزون خلفه فاطر، فاطر، وبقولهم:

يا فاطر رمضان * يا خاسر دِيْنك

كلْبتنا السَّودهْ * تأكلْ مَصارِيْنَك .

وهذا كلام جميل المغْزى والمعنى؛ لأن المفطر في نظرهم لا يستحق إلّا أن تنهشَ لحمه الكلاب الضَارِية .

ثم عبرنا على أهل التقاليد العاديّة والعادات الرمضانية، ورأينا أصحاب فوانيس رمضان يحملونها؛ لينيروا الطريق لأهلهم وقت خروجهم للمساجد للعبادة، ولذلك قصة يطول ذكرها.

ورأينا أصحاب وحَوِيْ وحَوِيْ، وجماعات يرتجزون وينشدون هم وأطفالهم، يتنقلون من مكان إلى مكان، يقفون بكل باب ثروة أو باب متْجَرٍ، ويطلبون الهدايا مُنشدين:

ادّوُنا العَادة * ربّي خليكم

لبْدَهْ وقِلادَة * ربّي خليكم .

فإذا طال انتظارهم بدون جدوى، صاحوا محتجّين:

الفانوس طقْطقْ

والشمعة ساحتْ

والعيال نامتْ .

ثم عبرَنا على أصحاب المسحّراتي يطوفون الشوارع والأزقة بطبولهم، يوقظون النيام للسحور باللحن الجميل :

يا عباد الله وحدّوا الله

اصحَ يا نائم

وحّد ربك الحي الدائم .

ثم رأينا الذين يأكلون الياميش والقطايف والكنافة، ويمدحون في ذلك بالقصائد الجميلة، الأبيات الرقيقة، كما رأينا أصحاب الخشّاف والمرطبات يتناولون ذلك عند إطلاق نار مدفع الإفطار، ومنهم أصحاب الحلاويّات، ثم المشمش المسمّى قمر الدين، ووقفنا على أصحاب الكعك المسمّى كعك العيد، وأطباق السمك المعتاد، وأكله في عيد الفطر ؛ لأنه كما يقولون: أكثر فائدة للجسم بعد الصيام، وكثيرًا ما يوصف هذا السمك بأنه غذاء المصابين بسُوء الهضم.

[فوائد الرحلة في العصور مع شهر الصوم]

ووقفَ بنَا هذا التّطواف إلى عصر الثورة المصرية، ورئيسها المغفور له : جمال عبد الناصر، واستنتجنا من هذه الرحلة في هذه العصور أن الصوم عبادة قديمة، ولكلّ أُمّةٍ من الأمم عادات وتقاليد، تختلف عن عادات غيرها، وأن الصومَ يخلِفُ في الصائم قوة الإرادة، والصبر والشجاعة، وينتج من ذلك الانتصار على الأعداء ؛ لأن رمضان يُسمّى شهر الثورة.

ثم خرجنا من هذه الرحلة بنتيجة كبرى من هذه الأمم التي طواها الزمن، وهي: أن الدنيا ليست بشيء، ومصيرها إلى الزوال، وأن مصير الإنسان إمّا إلى السعادة إن عمل بأسبابها من: طاعه الله، وإقامة الفرائض، وإمّا إلى الشقاوة إن عمل بأسبابها كالعمل بالمعاصي، والسير في طريق الضلال، والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم.

[التّطواف مع الخيَال في الجنّة !]

ثم جاءت ليلة القدر هي: ليلة الثالث والعشرين من شهر رمضان، فسبَحتُ فيها مع الخيَال، وقد رأيتُه تجسّد أمامي كشخصيّة إنسان يفهم الخطاب ويردّ الجواب، فألقيتُ عليه السؤال التالي: هل يمكن للإنسان أن يطوف في الجنة وهو في اليقظة مع الخيَال؟ فقال: هاتْ يدكَ، و أنا أُريك! فمددتُ يدي ، ورأيتني في غيبوبة، وانجلتْ عنّي بعد ساعة من الزمن، فإذا أنا في حدائق وبساتين ونخيل وأشجار متنوّعة، وأنهار تجري من تحتها، والأشجار مُدت أغصانها بالثمار، وفيها قصور عاليات، وقِباب مُرصعة باللؤلؤ والمرجان، لا أستطيع وصف حُسنها وسُمكها وسعتها، ولّما عبَرنا على أنهار اللبن والعسل، رأيتُ آنية كثيرة على نهر ماء واسعٍ جدًا، لا يُرى عرضه من طوله، فقلتُ للخيَال: لعلّ هذا نهر الكوثر! فقال: نعم، فقلتُ أريدُ أحد الآنية لآخذ غسلاً فيه من النهر، فقال: ممنوع ، وسيمنعنا رضوان خازن الجنة من الخروج به.

ورأيتُ في الجنّة جموع من الناس في صور متنوّعة منها: الطويل الضخم، ومنها المتوسّط ومنها الناس العاديين، ورأيتُ جموعًا أخرى يجلسون حِلقًا حِلقًا، ووسطهم رجلٌ عالمٌ يخطب فيهم، فتقدمتُ مع الخيَال إلى أول حلقة، فإذا عالمهم في الوسط، وصوته كبير كأن في حلقه ميكروفون، يُشيدُ في حديثه بشهر رمضان وفضله، ويقول في حديثه: إن شهر رمضان شهر عظيم، يقود الصائمين العاملين فيه بطاعة الله إلى دخول جنات النعيم، وأن الله سبحانه وتعالى بسط في شهر رمضان من موائد جُوده بساط الغفران، وفتح فيه من كنوز برّه أبواب الإحسان، وقد اشتمل على الليلة التي هي خير من ألف شهر، ألا وهي ليلة القدر، وهي ليلتُكم هذه، وقد سألت السيدة عائشة رضي الله عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم عمّ تقوله في ليله القدر، فقال عليه الصلاة والسلام: (قولي: اللهم إنّك عفوٌ كريمٌ تُحِبُّ العفو فاعفُ عنّي) [(١)]، وإنني اختار لمن ظفر بها أن يسأل الله تعالى بعد الدعاء المأثور إجابة دعائه كلّما طلب أي: يسأل الله تعالى أن يجعله مُجاب الدعوة كلّما دعا الله يستجيب له، وهذا كنزل لا يفنى[(٢)]. فسألتُ الخيَال: مَنْ هذا الخطيب في هؤلاء الناس؟ فقال: هذا رُوح الشيخ الفقيه ابن عربي[(٣)] ـ رحمه الله ـ، وهؤلاء أرواح الناس أهل وقتِهِ الذين كان يخطب لهم في الدنيا.

---

(١) أخرجه الترمذي ك: الدعوات، باب: ٨٥، حديث٣٥١٣، وقال: حديث حسن صحح، ورواه ابن ماجه ك: الدعاء، باب: الدعاء بالعفو والعافية حديث٣٨٥٠.

(٢) أقول: سؤال العافية مِنْ أجمع الأدعية الجامعة لخيرات الدنيا والآخرة؛ ولهذا أرشد الرسول ﷺ عائشة رضي الله عنها بذلك، قال العلّامة ابن علان الصديقي – رحمه الله –: (وفي الخبر دليل على أن الأليق بالإنسان والأحق به لما جُبل عليه من إيثاره شهواته الابتهال إلى الله عزّ وجل في مواسم الخيرات ومواطن إجابة الدعوات أن يَسبِل ذيل عفوه؛ لما يتسبب عنه من رُقيّه إلى حقائق عطفه ورقائق لطفه، ونقل عن ابن العربي أنه ينبغي لمن ظفِر بليلة القدر أن يسأل إجابة الدعاء قال: ليظفر بكنز يُنفق منه أبد الآباد. وفيما أشارت إليه عائشة رضي الله عنها ممّا ذكر غُنية عن ذلك وغيره فالخير في الإتباع). الفتوحات الربانية على الأذكار النواوية ٣٤٧/٤.

(٣) هو: محمد بن على محيى الدين أبو بكر الطائي الحاتمي الأندلسى، المعروف بابن عربي، صاحب التصنيفات في التصوّف وغيره ، ولد في شهر رمضان سنة ستين وخمسمائة بمرسية ، من تصانيفه : الفتوحات

ورأينا رجلاً عصريًّا يَخطبُ في جماعةٍ، ويقول في خطبته: إن ليلة القدر هي الصلة بين سُكّان السماء و سُكّان الأرض، ويحاول جبابرة العقل أن يُوجدوا صلةً بين كوكبنا الأرضي وسائر الكواكب السماوية، وذلك من الممكن هذه الصلة: فمن الممكن أن يتفاهم إنسان الأرض بإنسان السماء، ومن هنا نصل إلى أن خالق الكون حريص على تعارف خلقه للتحسّس من عظمته، وللوقوف على أسرار خلقه، فقلتُ لصاحبي: مَنْ هذا الخطيب؟ فقال: هذا رُوح رجل مصريّ من عهد الثورة في زمن عبد الناصر.

ثم مرَرنا على حَلقةٍ أخرى فيهم داعية آخر مُسلِم، يخطبُ فيهم، ويقول في حديثه: عن ابن مسعود الغفاري رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (لَوْ يَعْلَمُ الْعِبَادُ مَا رَمَضَانُ لَتَمَنَّتْ أُمَّتِي أَنْ يَكُونَ السَّنَةَ كُلَّهَا". فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ خُزَاعَةَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ! حَدِّثْنَا، فَقَالَ: "إِنَّ الْجَنَّةَ لَتَزَيَّنُ لِرَمَضَانَ مِنْ رَأْسِ الْحَوْلِ إِلَى الْحَوْلِ، فَإِذَا كَانَ أَوَّلُ يَوْمٍ مِنْ رَمَضَانَ هَبَّتْ رِيحٌ مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ فَصَفَقَتْ وَرَقَ الْجَنَّةِ فَتَنْظُرُ الْحُورُ الْعِينُ إِلَى ذَلِكَ فَيَقُلْنَ: يَا رَبِّ! اجْعَلْ لَنَا مِنْ عِبَادِكَ فِي هَذَا الشَّهْرِ أَزْوَاجًا تُقِرُّ أَعْيُنَنَا بِهِمْ، وَتُقِرُّ أَعْيُنَهُمْ بِنَا"، قَالَ: "فَمَا مِنْ عَبْدٍ يَصُومُ يَوْمًا مِنْ رَمَضَانَ إِلَّا زُوِّجَ زَوْجَةً مِنَ الْحُورِ الْعِينِ فِي خَيْمَةٍ مِنْ دُرَّةٍ...) [1].

المكية ، والتدبيرات الإلهية، قال ابن كثير: وصنّف فيها كتابه المُسمّى بالفتوحات المكية في نحو عشرين مجلداً، فيها ما يعقل ومالا يعقل، وما يُنكر وما لا يُنكر، وما يُعرف ومالا يُعرف، وقد أحسن العلماء الظن بابن عربي لصحة عقيدته، وكمال متابعته للشرع منهم: الذهبي وابن حجر، وصنف السيوطي تنبيه الغبي في تبرئة ابن عربي، ووفاته في الثامن والعشرين من ربيع الآخر سنة(٦٣٨هـ). انظر: فوات الوفيات ٣٩٧/٢، البداية والنهاية١٥٦/١٣، لسان الميزان٣١١/٥.

(١) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه ٩٠٩/٢، حديث ١٨٨٦، وأبو يعلى في مسنده ١٨٠/٩، حديث ٥٢٧٣ ، والبيهقي في شعب الإيمان٢٣٩/٥، حديث٣٣٦١ ، وقال بعده : قال الإمام أحمد: " ورواه ابن خزيمة في كتابه وجهين، عن جرير، ومن حديث سلم عن قتيبة، عن جرير إلا أنه قال: عن نافع بن بردة الهمداني، عن رجل من غفار ثم قال: وفي القلب من جرير بن أيوب: قلت وجرير بن أيوب ضعيف عند أهل النقل، ورواه أيضا عبد الله بن رجاء، عن جرير بن أيوب إلا أنه لم يقل الغفاري. وقال المنذري: وَقَالَ ابْن خُزَيْمَة وَفِي الْقلب من جرير بن أَيُّوب

فقلتُ للخيال: ومَنْ هذا الخطيب؟ فقال: هذا رُوح الإمام الشافعي رضي الله عنه، وهؤلاء أرواح الناس أهل مذهبه وغيرهم من الذين كانوا يحضرون دروسه في الدنيا.

ثم مرَرنا على حَلقةٍ أخرى وفيها خطيب يقول في حديثه: ثبت في صحيح ابن خزيمة : أن شهر رمضان :(شَهْرُ الْمُوَاسَاةِ، وَشَهْرٌ يَزْدَادُ فِيهِ رِزْقُ الْمُؤْمِنِ، مَنْ فَطَّرَ فِيهِ صَائِمًا كَانَ مَغْفِرَةً لِذُنُوبِهِ، وَعِتْقَ رَقَبَتِهِ مِنَ النَّارِ، وَكَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ ... إلى آخر الحديث) [1].

فقلتُ للخيَال: ومَنْ هذا الإمام؟ قال: هذا رُوح الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه، وهذه أرواح الناس الذين كانوا يحضرون درسه في الدنيا، وهكذا مررنا على جماعات كثيرةٍ، وفيهم مدرسون من الأئمة الأربعة وغيرهم، يشيدون برمضان، ويذكرون فضائله، وفضائل الأُمة المحمدية، ومنهم يفتون الناس في مسائل علميّة في درجات الجنة وشؤونها، ومنهم مدرسون في شؤون الملأ الأعلى، ويَصفون للمستمعين أوصافًا غامضةً عنّا لم نفهمها، وهنا قلتُ لصاحبي: هيّا بنا نخرج من الجنة، ولا نُحبُّ الخروج منها، فتوجّه بي خارجًا حتى وصلنا عند باب الجنة، فوقعنا في المشكلة هناك! أمام الملك رضوان خازن الجنة، فقال: أنتما ممنوعان عن الخروج، ولا يمكن لمن دخل الجنة أن يخرج منها، وقانون الإله سبحانه يقول: ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ (٢)، ارجعا إلى داخل الجنة! فقلتُ له أنا أعيش في الدنيا، ولم أمتْ، قال: مَنْ أدخلك؟ قلتُ: هذا الخيَال، فقال: هذا ليس بخيَال، ولكنّه

شَيْء. قَالَ الْحَافِظ جرير بن أَيُّوب البَجلِيّ واه. الترغيب والترهيب٦٢/٢ ، وقال الحافظ ابن حجر: تفرد به جرير بن أيوب وهو ضعيف جدا. وقد أخرجه ابن خزيمة في صحيحه وقال: إن صح الخبر فإن في القلب من جرير بن أيوب وكأنه تساهل فيه؛ لكونه من الرغائب. المطَالبُ العَاليَةُ بزَوَائِدِ المسَانيد الثّمَانِيَةِ٤٢/٦ ، وقال العلامة علي القاري الحنفي: وللحديث شاهد آخر من حديث ابن عباس أخرجه أبو الشيخ في كتاب الثواب، والبيهقي أيضا، قال المنذري: وليس في إسناده ممن أجمع على ضعفه، فاختلاف طرق الحديث يدل على أن له أصلا. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح١٣٧١/٤، وانظر: اللآلىء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة٨٥/٢، فالحديث له أكثر من طريق مما يدل أن له أصلا يطمئن إليه، لا سيّما والحديث في فضائل شهر رمضان، والفضائل لا يشدد فيها ـ والله أعلم ـ .

(١) سبق تخريج هذا الحديث قريبا ، وهو المشهور بحديث سيدنا سلمان الفارسي رضي الله عنه .

(٢) سورة الحجر: ٤٨.

متجسّد فهو خيّال بالتشديد، فرجع إليه، ووجّه إليه سؤاله: كيف دخلت بهذا الرجل ولم أحسّ بِكُما، فقال: دخلنا على غفلةٍ منك، فصاحَ عليه، لقد خالفتَ الأمر، فقبضَ عليه، وأنا خرجتُ والخيَال مقبوض عند باب الجنة، وأراني دخلتُ باب خلوتي في الدنيا، ومِنْ فرحي بذلك انتبهتُ، فإذا أنا في الخلْوة، فحمدتُ الله تعالى، وقلتُ : الحمد لله الذي بنعمته تتِم الصالحات(١).

(١) إلى هنا تم تحقيق المخطوطة الأدبية الفريدة لشيخنا المعمّر القاضي حسين بن محمد بن الشيخ بوبكر ـ رحمه الله ـ بقلم زين بن محمد بن حسين العيدروس عفا الله عنه، يوم الخميس١٤ رمضان ١٤٤١هـ الموافق ٢٠٢٠/٤/٧م .

فهرس الموضوعات

مقدمة التحقيق ٤

ترجمة مختصرة لشيخنا العلامة القاضي حسين محمد مصطفى بن الشيخ أبو بكر..... ٥

نبذة مختصرة عن بلدة الحَامِي ٧

[النص المحقق] ١٠

[أنواع الصوم] ١٣

[شهر رمضان في عصر الخلفاء الراشدين] ١٤

[ومن التاريخ في العصر الأيوبي] ١٦

[وفي عصر المماليك الذي أنشئ بيد صلاح الدين] ١٧

[طرفة بعنوان : سِيبْ دِيْ واشرب دِيْ] ١٨

[العصر الحديث] ١٩

[ومن التاريخ والتقاليد القديمة] ١٩

[فوائد الرحلة في العصور مع شهر الصوم] ٢١

[التّطواف مع الخيَال في الجنة !] ٢١

فهرس الموضوعات ٢٦

صورة حديثة لمدينة الحَامِي بحضرموت اليمن ، والتي كتبَ فيها المؤلف هذه المقامة الأدبية الفريدة :